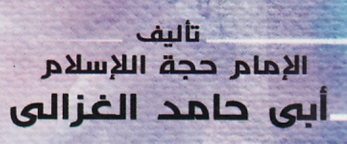
منهاج العارفين



اعتنى به وحققه
أبو سهل
نجاح عوض صيام



منهاج العارفين

تأليف

الإمام حجة الإسلام

أبي حامد محمدبن محمدبن محمد الغزالي

اعتنى به وحققه

أبو سهل

نجاح عوض صيام

اسم الكتاب: منهاج العارفين

المؤلف: أبي حامد الغزالي

المحقق: نجاح عوض

دار النشر: دار المقطم

سنة الطبع: ٢٠١٠

عدد الصفحات: ٤٨

حجم الكتاب: ١٧ x ١٢,٥

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢١٠٨١

الترقيم الدولي: ٧-٠٢٥-٤٧٨-٩٧٧-٩٧٨

المقطم للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريحان-عابدين

القاهرة - جمهورية مصر العربية

Tel: (00202) 27958215 - 27946109

Fax: (00202) 25082233

www.dar-elmokattam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذا كتاب (منهاج العارفين) تأليف حجة الإسلام وبركة الأنام الإمام الزاهد الورع زين الدين أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ - رحمه الله تعالى - وهو كتاب لطيف الحجم عظيم الفائدة تكلم فيه رضي الله عنه عن أسرار العبادات وآدابها وكيفية مراقبة العبد لربه عز وجل في سائر الطاعات بأسلوب سهل ميسر يفهمه عموم الناس، فجزاه الله خير الجزاء على ما قدم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في سماحة ويسر وإخلاص.

هذا وقد قمت بتخريج آيات هذا الكتاب من المصحف الشريف، والأحاديث الشريفة من مصادرها الأصلية من كتب السنة المطهرة؛ وضبط ما أشكل من ألفاظه وشرح غريبه، والتعليق عليه حسب ما يلزم ويقتضيه المقام، كما قمت أيضًا بعمل ترجمة للإمام المؤلف – رحمه الله تعالى – وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة بمطبعة الجندي سنة ١٩٧٠م بعناية العلامة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا – رحمه الله تعالى.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المنصورة في: شوال ١٤٣٠هـ - أكتوبر ٢٠٠٩م

أبو سهل

نجاح عوض صيام

عفا الله عنه

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه:

هو الإمام الفقيه الحجة المجتهد زين الدين محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، الطوسي، الشافعي، حجة الإسلام والمسلمين، وإمام أئمة الدين، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

مولده ونشأته:

ولد رضي الله عنه سنة ٤٥٠ هـ في «طوس» وكان أبوه رجلًا صالحًا عفَّ القلب واليد، يغزل الصوف ويبيعه، ويختلف في أوقات فراغه إلى العلماء في حلقاتهم، والفقهاء في دروسهم، والوعاظ في مجالسهم؛ يستمع إليهم ويتطلع إلى صنيعهم في التعليم والإفادة، ويلاطفهم بما يفضل من قوته وحاجته.

وتأثر الوالد بهذه المجالس تأثرًا عظيمًا، جعله يضرع إلى الله أن يهب له ولدًا من صلبه يجلس مجالس أولئك الفقهاء والوعاظ الذين يعلمون الناس أمور دينهم.

واستجاب الله لدعائه فرزقه ولدين: أحدهما: أبو حامد

الذي نتكلم عنه، والآخر: أخوه أحمد، الذي اشتغل بالوعظ وبرع فيه إلى درجة كبيرة.

ولما حضرت الوفاة ذلك الأب الصالح: وصَّى بأبي حامد وأخيه صديقًا له، متصوفًا، من أهل الخير، وقال له: إن لي لتأسفًا عظيمًا على ما فاتني من التعلم، واشتهى استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فعلِّمهما، ولا عليك أن ينفد في ذلك جميع ما أُخلِّفه لهما.

وأنفذ الصوفي وصيته، وأقبل تعليمهما، حتى فني المال القليل الذي تركه أبوهما، وتعذر عليه المضيُّ في تعليمهما أو تقديم الطعام الذي يقتاتان به، ولم يجد من السُّبل ما يحفظ به عليهما حياتهما، إلا أن يُلحقهما بمدرسة من تلك المدارس التي تقدم لطلاب العلم الغذاء والكساء.

وقد أحسن الرجل بذلك صُنعًا إلى هذين اليتيمين اللذين لا عائل لهما ولا مال يعينهما على الحياة. وكان هو السبب في سعادتهما، وعُلو درجاتهما.

فكان أبو حامد – صاحب الترجمة – أفقه أقرانه، وإمام أهل

زمانه، وفارس ميدانه، شهد له بذلك الموافق والمخالف. وكان أخوه أحمد واعظًا كبير القدر، صاحب كرامات وإشارات.

ولذلك كان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول وهو يذكر صنيع ذلك الرجل: **«طلبنا العلم لغير الله فأبي أن يكون إلا الله»**، ومعنى ذلك أنهما طلباه ليكون وسيلة للعيش يُجْرى عليهما بسببه ما يُجرى على طلبه العلم، فكان أن أوصلهما إلى الغاية الحقيقية من طلب العلم، وهي معرفة الله حق معرفته.

طلبه للعلم:

قرأ الإمام الغزالي في صباه طرفًا من الفقه، ببلده، على: الإمام أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى «جُرجان» فأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، ثم قدم «نيسابور» ولازم إمام الحرمين، وجدَّ واجتهد، حتى برع في المذهب، والخلاف، والجدل، والأصلين، والمنطق، وقرأ الحكمة، والفلسفة، وأحكم كل ذلك. وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدَّى للردِّ على مُبطليهم، وإبطال دعاويهم. وصنف في كل فن من هذه العلوم

كتبًا، أحسن تأليفها، وأجاد وضعها.

وكان رضي الله عنه شديد الذكاء، شديد النظر، عجيب الفطرة، مُفرط الإدراك، محجاجًا، وصفه شيخه إمام الحرمين: بالبحر المغدق.

ولما مات إمام الحرمين، خرج الغزالي إلى المعسكر قاصدًا الوزير نظام الملك، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم وملاذهم، فناظر الأئمة العلماء في مجلسه، وقهر الخصوم، وظهر كلامه عليهم، واعترفوا بفضله، وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل، وولاه تدريس مدرسته ببغداد، وأمره بالتوجه إليها.

فقدم بغداد سنة ٤٨٤هـ ودرَّس بالنظامية، وأعجب الخلق حسن كلامه، وكمال فضله، وفصاحة لسانه، ونُكتِه الدقيقة، وإشاراته اللطيفة، وأحبوه.

وأقام على تدريس العلم ونشره، بالتعليم، والفُتيا، والتصنيف، مدة، عظيم الجاه، عالي الرتبة، مسموع الكلمة، مشهور الاسم، تضرب به الأمثال، وتُشد إليه الرحال..

الغزالي والبحث عن الحقيقة:

يقول الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال:

ثم إني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق الصوفية، وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلم وعمل.

وكان حاصل عملهم: قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة؛ حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتجليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر عليّ من العمل. فابتدأت بتحصيل علمهم: من مطالعة كتبهم، مثل: «**قوت القلوب**» لـ «**أبي طالب المكي**» – رحمه الله – وكتب: «**الحارث المحاسبي**»، والمتفرقات المأثورة عن: «**الجنيد**»، و «**الشبلي**»، و «**أبي يزيد البسطامي**» قدّس الله أرواحهم، وغير ذلك من كلام مشايخهم؛ حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصّلت ما يمكن أن يحصّل من طريقهم بالتعلم والسماع. فظهر لي أن أخص خواصهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق، والحال، وتبدل

الصفات.

وكم من الفرق بين أن يعلم حدُّ الصحة، وحدُّ الشبع، وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحًا وشبعان، وبين أن يعرف حد السكر، وأنه: عبارة عن حالة تحصيل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكران، بل السكران لا يعرف حدّ السكر. وعلمه وهو سكران، وما معه من علمه شيء. والصاحي يعرف حد السكر، وأركانه، وما معه من السكر شيء. والطبيب في حالة المرض، يعرف حد الصحة، وأسبابها، وأدويتها وهو فاقد الصحة.

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها، وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمتُ يقينًا: أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم، فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع، بل بالذوق والسلوك...

... ثم لاحظت أحوالي: فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقت بي من الجوانب.

ولاحظت أعمالي – وأحسنها: التدريس والتعليم – فإذا أنا فيها مُقبل على علوم غير مهمة، ولا نافعة في طريق الآخرة. ثم تفكرت في نيتي في التدريس؛ فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى، بل باعثها ومحركها طلب الجاه، وانتشار الصيت: فتيقنت أني على شفا جرف هار، وأني قد أشفيت على النار، إن لم أشتغل بتلافي الأحوال...

ففارقت بغداد، وفرَّقت ما كان معي من المال، ولم أدّخر إلا قدر الكفاف، وقوت الأطفال، ترخصًا بأن مال العراق مرصد للمصالح؛ لكونه وقفًا على المسلمين، فلم أر في العالم ما لا يأخذه العالم لعياله، أصلح منه.

ثم دخلت الشام، وأقمت به قريبًا من سنتين لا شغل لي إلا العزلة، والخلوة، والرياضة، والمجاهدة: اشتغالا بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله تعالى، كما كنت حصلته من علم الصوفية، فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار، وأغلق بابها على نفسي.

ثم رحلت منها إلى بيت المقدس، أدخل كل يوم الصخرة،

وأغلق بابها على نفسي.

ثم تحركت في داعية فريضة الحج، واستمداد من بركات مكة، والمدينة، وزيارة رسول الله ﷺ، بعد الفراغ من زيارة الخليل، صلوات الله عليه. فسرت إلى الحجاز.

ثم جذبتني الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته، بعد أن كنت أبعد الخلق عن الرجوع إليه.

فآثرت العزلة به أيضًا، حرصًا على الخلوة، وتصفية القلب للذكر.

وكانت حوادث الزمان، ومهمات العيال، وضرورات المعاش، تغير في وجهة المراد، وتشوش صفوة الخلوة. وكان لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة. لكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها، فتدفعني عنها العوائق، وأعود إليها.

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين.

وانكشف لي في أثناء هذه الخطوات أمور، لا يمكن إحصاؤها، واستقصاؤها.

والقدر الذي أذكره لينتفع به: إني علمت يقينًا أن الصوفية:

هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق.

بل لو جُمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئًا من سِيَرَهم، وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة: فماذا يقول القائلون فغي طريقة، طهارتها – وهي أول شروطها – تطهيرُ القلب بالكلية عما سوى الله تعالى.

ومفتاحُها – الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة – استغراقُ القلب بالكلية بذكر الله.

وآخرها الفناء بالكلية في الله؟

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها. وهي – على التحقيق – أول الطريقة، وما قبل ذلك كالدهليز للسالك إليه.

ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد.

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها، إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة: ينتهي الأمر إلى قرب، يكاد يتخيل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتحاد، وطائفة الوصول. وكل ذلك خطأ.

وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب «**المقصد الأسنى**»[(١)].

مؤلفاته:

لقد أثرى الإمام الغزالي رضي الله عنه المكتبة الإسلامية بالعديد من مؤلفاته المفيدة في كل علم وفن من فنون العلم والمعرفة، التي تدل على براعته وإمامته وعلو منزلته بين العلماء

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال تحقيق شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود (ص ٥٩ – ٦٥).

العاملين وأئمة الدين المتقين، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

١) إحياء علوم الدين.

٢) المنقذ من الضلال.

٣) الاقتصاد في الاعتقاد.

٤) ميزان العمل.

٥) بداية الهداية.

٦) القسطاس المستقيم.

٧) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

٨) تهافت الفلاسفة.

٩) معيار العلم.

١٠) المقصد الأسني في شرح أسماء الله الحسنى.

١١) البسيط.

١٢) الوسيط.

١٣) الوجيز. وهي في الفقه.

١٤) المستصفى في أصول الفقه.

١٥) المنخول في أصول الفقه أيضًا.

١٦) كيمياء السعادة.

١٧) جواهر القرآن.

١٨) ياقوت التأويل في تفسير التنزيل، في أربعين مجلدًا «مخطوط».

١٩) منهاج العابدين.

٢٠) الأربعين في أصول الدين.

٢١) مشكاة الأنوار.

٢٢) الدرر الفاخرة في كشف علوم الآخرة.

٢٣) إلجام العوام عن علم الكلام.

٢٤) أيها الولد.

٢٥) منهاج العارفين.

٢٦) روضة الطالبين وعمدة السالكين.

نبذة من حِكَمِه وأقواله:

- من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف

الحقَّ تعرف أهله.

- التوحيد أن ترى الأمور كلها من الله.

- من لم يكن له نصيب من علم الباطن، أخافُ عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه: التصديق وتسليمه لأهله، ومن كان فيه خصلتان لم يُفتح له من العلم بشيء: بدعة أو كِبر.

- السعادة كلها في أن يملك الرجلُ نفسَه، والشقاوة أن تملكه نفسه.

- ليس الورع في الجبهة حتى يُقطب، ولا في الخدِّ حتى يصعر، ولا في الظهر حتى يُجنأ، ولا في الرقبة حتى تطأطأ، ولا في الذيل حتى يضم، إنما الورع في القلوب، أمّا من تلقاهُ ببشر فيلقاك بعبوس، يمن عليك بعمله، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله.

- المستقل بنفسه بغير شيخ، كشجرة تنبت بنفسها، فإنها تجف عن قُرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر.

ثناء العلماء عليه:

قال الإمام السبكي في طبقات الشافعية في ترجمته الحافلة للإمام الغزالي:

.. أبو حامد الغزالي حجة الإسلام، ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام، جامع أشتات العلوم، والمبرّز في المنقول منها والمفهوم.. جاء والناس إلى رد فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاد مقاله، ويحمي حوزة الدين، ولا يُلطخ بدم المعتدين حد نصاله، حتى أصبح الدين وثيق العُرى، وانكشفت غياهب الشبهات..

وقال ابن النجار فيما نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء:

أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، مجتهد أوانه، وعين أوانه.

- ووصفه شيخه إمام الحرمين: بالبحر المغدق.

- وقال تلميذه الإمام محمد بن يحيى: الغزالي هو الشافعي

الثاني.

- **وقال معاصره عبد الغافر الفارسي، خطيب نيسابور:**

أبو حامد الغزالي، حجة الإسلام، وإمام أئمة الدين، لم تر العيون مثله، لسانًا، وبيانًا، ومنطقًا، وخاطرًا، وذكاء، وطبعًا... قد نيسابور مختلفًا إلى درس إمام الحرمين، في طائفة من الشبان من طوس، وجدّ واجتهد حتى تخرج عن مدة قريبة، وبذّ الأقران... وظهر اسمه في الآفاق، وارتفق بذلك أكمل الارتفاق، حتى أدت الحال به إلى أن رُسم للمصير إلى بغداد، للقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها، فصار إليها، وأُعجب الكلُّ بتدريسه، ومناظرته، ما لَقي مثل نفسه، وصار بعد إمامة خُراسان إمام العراق... وعلت حشمته ودرجته في بغداد، حتى كانت تغلب حشمة الأكابر والأمراء ودار الخلافة.

- **وقال الإمام النظّار أسعد الميهيني (ت ٥٢٠ هـ):** لا يصل إلى معرفة علم الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد يبلغ الكمال في عقله.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية:

كان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، وساد في شبيبته، حتى أنه درَّس بالنظامية ببغداد وسنه أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رءوس العلماء، وكان ممن حضر عنده: أبو الخطاب، وابن عقيل، وهما من رءوس الحنابلة، فتعجبوا من فصاحته وإطلاعه، - قال ابن الجوزي - وكتبوا كلامه في مصنفاتهم.

وفاته:

... واستمر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في رحلته إلى الشام وزيارة بيت المقدس وغيرهما، نحو عشر سنوات، وكان فيها - كما يقول الإمام السبكي -: يجول في البلدان ويزور المشاهد، ويطوف على المساجد، ويأوى إلى القِفار، ويروضُ نفسه ويجاهدها جهاد الأبرار، ويكلِّفها مشاقّ العبادات، بأنواع القُرب والطاعات، إلى أن صار قطب الوجود، والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن، والسبيل

المنصوب إلى مركز الإيمان؛ رجع إلى بغداد، وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدّث بكتاب «الإحياء» ثم عاد إلى خراسان، ودرّس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة، وكل قلبه معلق بما فُتح عليه من الطريق. ثم رجع إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره: مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية، ووزّع أوقاته على وظائف، من ختم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام وسائر العبادات؛ إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، طيب الثناء، أعلى منزلة من نجم السماء، لا يكرهه إلا حاسدٌ أو زنديق، ولا يسومه بسوء إلا حائد عن سواء الطريق، وكانت وفاته – قدس الله روحه – بطوس يوم الاثنين، رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، ومشهده بها يزار بمقبرة الطابران[١].

---

(١) مصادر الترجمة:

١) المنقذ من الضلال (ص ٥٩ – ٦٥).

٢) المنتظم لابن الجوزي (٩/ ١٦٨).

=

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الرسالة

الحمد لله الذي نور قلوب العارفين بذكره، وأنطق ألسنتهم بشكره، وعمَّر جوارحهم بخدمته، فهم في رياض الأنس يرتعون وإلى أوكار المحبة يأوون، ذَكَرهم فذكروه، وأحبهم فأحبوه، ورضي عنهم فرضوا عنه رأس مالهم الافتقار ونظام

٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢).
٤) طبقات الشافعية الكبرى (٦/ ١٩١).
٥) البداية والنهاية لابن كثير (١٢/ ١٧٣).
٦) وفيات الأعيان (٤/ ٤١٦).
٧) مرآة الجنان (٣/ ١٤٥).
٨) طبقات الصوفية للمناوي (٢/ ٢٩١).
٩) شذرات الذهب (٤/ ١٣).
١٠) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢).
١١) مقدمة إحياء علوم الدين للدكتور بدوي طبانة.

أمرهم الاضطرار، علَّمهم دواء الذنوب، وعرَّفهم طب القلوب، فهم مصابيح أنوار حجته، ومفاتيح خزائن حكمته، إمامهم القمر الطالع، وقائدهم النور الساطع، سيد الموالي والعرب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والثمرة الزاكية من الشجرة المباركة، التي أصلها التوحيد، وفرعها التقوى، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥]. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠]. صلى الله عليه وسلم صلاة تلوح في السموات آثارها وتعلو في جنان الخلد أنوارها وتطيب في مشاهد الأنبياء أخبارها، وعلى آله الطاهرين وأصحابه المطهرين.

باب البيان نحو المريدين

يدور على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحب، فالخوف: فرع العلم. والرجاء: فرع اليقين. والحب: فرع المعرفة، فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحب إيثار

المحبوب، ومثال ذلك الحرم والمسجد والكعبة؛ فمن دخل حرم الإرادة أَمِنَ من الخلق، ومن دخل المسجد أمنت جوارحه أن يستعملها في معصية الله تعالى، ومن دخل الكعبة أمن قلبه أن يشتغل بغير ذكر الله عز وجل. فإذا أصبح العبد لزمه أن ينظر في ظلمة الليل ونور النهار ويعلم أن أحدهما إذا ظهر عزل صاحبه عن الولاية، فكذلك نور المعرفة إذا ظهر عزل ظلمة المعاصي عن الجوارح، فإن كانت حالته حالة يرضاها لحلول الموت شكر الله تعالى على توفيقه وعصمته، وإن كانت حالته حالة يكره معها الموت انتقل عنها بصحة العزيمة وكمال الجهد، وعلم أن لا ملجأ من الله إلا إليه، كما أنه لا وصول إليه إلا به، فندم على ما أفسد من عمره بسوء اختياره، واستعان بالله على تطهير ظاهره من الذنوب وتصفية باطنه من العيوب، وقطع زُنَّار الغفلة عن قلبه، وأطفأ نار الشهوة عن نفسه، واستقام على طريق الحق وركب أَمْطِيَة الصدق، فإن النهار دليل الآخرة والليل دليل الدنيا، والنوم شاهد الموت، والعبد قادم على ما أسلف ونادم على ما خلف، يقول الله عز وجل: ﴿ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ

يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣].

باب الأحكام

وإعراب القلوب على أربعة أنواع: رفع وفتح وخفض ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى. وفتح القلب في الرضاء عن الله تعالى. وخفض القلب في الاشتغال بغير الله تعالى. ووقف القلب في الغفلة عن الله تعالى. فعلامة الرفع ثلاثة أشياء: وجود الموافقة، وفقد المخالفة، ودوام الشوق. وعلامة الفتح ثلاثة أشياء: التوكل، والصدق، واليقين.

وعلامة الخفض ثلاثة أشياء: العجب، والرياء، والحرص وهو مراعاة الدنيا.

وعلامة الوقف ثلاثة أشياء: زوال حلاوة الطاعة، وعدم مرارة المعصية، والتباس الحلال.

باب الرعاية

قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وأبو يعلى (٢٨٣٧)، والطبراني في الأوسط =

وهو علم الأنفاس، فيجب أن يكون نفس المريد شكرًا أو عذرًا، فإن قيل ففضل وإن رد فعدل فطائع الحركة بالتوفيق، والسكون بالعصمة ولا يستقم ذلك له إلا بدوام الافتقار والاضطرار.

ومفتاح ذلك:

ذكر الموت، لأن فيه راحة من الحبس ونجاة من العدو، وقوامه برد العمر إلى يوم واحد، ولن يلتئم ذلك إلا بالتفكر في الأوقات، وباب الفكر الفراغ، وسبب الفراغ الزهد. وعماد الزهد التقوى، وسنام التقوى الخوف، وزمام الخوف اليقين، ونظام اليقين الخلوة والجوع، وتمامها الجهد والصبر وطريقهما الصدق، ودليل الصدق العلم.

باب النية

لا بدّ للعبد من النية في كل حركة وسكون. «**فإنما الأعمال**

(٢٤٦٢) عن أنس رضي الله عنه.

بالنيات ولكل امرئ ما نوى»[١]، و «نية المؤمن خير من عمله»[٢]. والنية تختلف على حسب اختلاف الأوقات، وصاحب النية نفسه منه في تعب، والناس منه في راحة وليس شيء على المريد أصعب من حفظ النية.

باب الذكر

اجعل قلبك قبلة لسانك، واشعر عند الذكر حياء العبودية وهيبة الربوبية، واعلم بأن الله تعالى يعلم سر قلبك ويرى ظاهر فعلك ويسمع نجوى قولك، فاغسل قلبك بالحزن وأوقد فيه نار الخوف، فإذا زال حجاب الغفلة عن قلبك كان ذكرك به مع ذكره لك. قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:٤٥]. لأنه ذكرك مع الغناء عنك وأنت ذكرته مع الفقر إليه، فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. فيكون اطمئنان القلب في ذكر الله له ووجله في ذكره لله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ١٨٥، رقم ٥٩٤٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال:٢]. والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب في سقوط النظر إلى غير الله، وذكر صاف بفناء الهمة عن الذكر، قال رسول الله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١).

باب الشكر

وفي كل نفس من أنفاس العبد نعمة لله تتجدد عليه يلزمه القيام بشكرها. وأدنى الشكر أن يرى النعمة من الله تعالى ويرضى بما أعطاه ولا يخالفه بشيء من نعمه، وتمام الشكر في الاعتراف بلسان السر أن الخلق كلهم يعجزون عن أداء شكره على أصغر جزء من نعمه وإن بلغوا غاية المجهود، لأن التوفيق للشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها، فيلزمك على كل شكرٍ شكرٌ إلى ما لا نهاية له، فإذا تولى الله العبد حمل عنه شكره فرضي عنه بيسير وحط عنه ما يعلم أنه لا يبلغه ويضعفه ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء:٢٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن عائشة رضي الله عنها.

باب اللباس

اللباس نعمة من الله على عبده يستر به البشرة، ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]، وخير لباسك ما لا يشغل سرك عن الله تعالى، فإذا لبست ثوبك فاذكر محبة الله الستر على عباده، فلا تفضح أحدًا من خلقه بعيب تعلمه منه، واشتغل بعيب نفسك فاستره بدوام الاضطرار إلى الله تعالى في تطهيره، فإن العبد إذا نسي ذنبه كان ذلك عقوبة له وازداد به جُرءًا على المعاصي، ولو انتبه من رقدة الغفلة لنصب ذنوبه بين عيني قلبه نصبًا، ولبكى عليه بجفون سره، واستولى عليه الوجل، فذاب حياء من ربه، وما دام العبد يرجع إلى حول نفسه وقوتها انقطع عن حول الله وقوته، فاطرح همتك بين يدي الخوف والرجاء: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

باب القيام

فإذا قمت من فراشك، فأقم قلبك عن فراش البطالة، وأيقظ نفسك عن نوم الجهالة، وانهض بكلك إلى من أحياك

وردّ إليك نفسك، وقم بفكرك عن حركتك وسكونك، واصعد بقلبك إلى الملكوت الأعلى، ولا تجعل قلبك تابعًا لنفسك، فإن النفس تميل إلى الأرض، والقلب يميل إلى السماء واستعمل قول الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

باب السواك

واستعمل السواك فإنها مطهرة للفم مرضاة[1] للرب، وطهر ظاهرك وباطنك عن دنس الإساءة، وأخلص أعمالك عن كدر الرياء والعجب، وأجلِ قلبك بصافي ذكره، ودع عنك ما لا ينفعك بل يضرك.

باب التبرز

وإذا تبرزت لقضاء وطرك فاعتبر، فإن الراحة في إزالة

(١) أخرجه البخاري تعليقًا عن عائشة، ووصله أحمد (٦/ ١٢٤)، والنسائي (٥)، وابن حبان (١٠٦٧) عن عائشة رضي الله عنها، كما رواه ابن ماجه (٢٨٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

النجاسة، واستنجِ ونكِّس رأس همتك، وأغلق باب الكبر، وافتح باب الندم، واجلس على بساط الندامة، واجتهد في إيثار أمره واجتناب نهيه والصبر على حُكمه، واغسل شرّك بترك الغضب والشهوة،

واستعمل الرغبة والرهبة فإن الله تعالى مدح قومًا فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

باب الطهارة

وإذا تطهرت ففكر في صفوة الماء ورقته وتطهيره وتنظيفه، فإن الله تعالى جعله مباركًا فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ [ق:٩]. فاستعمله في الأعضاء التي فرض الله عليك تطهيرها ولتكن صفوتك مع الله كصفوة الماء، فاغسل وجه قلبك عن النظر إلى غير الله، واغسل يدك عن الامتداد إلى غيره وامسح رأسك عن الافتخار بغيره، واغسل رجليك عن السعي لغيره، وأحمد الله على ما ألهمك من دينه.

باب الخروج

فإذا خرجت من منزلك إلى مسجدك، فاعلم أن لله تعالى حقوقًا عليك يلزمك أداؤها. من ذلك: السكينة والوقار والاعتبار بخلق الله برهم وفاجرهم، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣]. وغُضَّ بصرك عن نظر الغفلة والشهوة، وأفش السلام مبتدئًا ومجيبًا، وأعن من استعانك على الحق، وأْمُر بالمعروف وانهِ عن المنكر إن كنت من أهله، وأرشد الضال.

باب دخول المسجد

فإذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت بيت ملك عظيم قدره لا يقبل إلا الطاهر ولا يصعد إليه إلا الخالص، ففكر في نفسك من أنت ولمن أنت وأين أنت ومن أي ديوان يخرج اسمك، فإذا استصلحت نفسك لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطعت عنه الحيل وانسدت عنه السبل، فإذا علم الله من قلبك الالتجاء إليه أذن

لك فتكون أنت بلا أنت، والله يرحم عبده ويكرم ضيفه ويعطي سائله ويبر المعرض عنه، فكيف المقبل إليه.

باب افتتاح الصلوات

فإذا استقبلت بوجهك القبلة استقبل بقلبك الحق، ولا تنبسط فلست من أهل الانبساط، واذكر وقوفك بين يديه يوم العرض الأكبر، وقف على قدمي الخوف والرجاء، وارفع قلبك عن النظر إلى الدنيا والخلق، وأرسل همتك إليه فإنه لا يرد الآبق ولا يخيب السائل. فإذا قلت الله أكبر فاعلم أنه لا يحتاج إلى خدمتك له وذكرك إياه، لأن الحاجة من جبلة الفقراء وذلك سمة الخلق والغِنى من صفات ذاته، وإنما وظْف على عبيده وظائف ليقربهم بها إلى عفوه ورحمته ويبعدهم بها من سخطه وعقوبته. قال الله عز وجل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦] وقال عز مكن قائل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات:٧]. الآية. واشكر الله إذ جعلك أهلًا للوقوف بين يديه فإنه ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ

ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:٥٦]. أهل أن يتقيه خلقه فيغفر لمن اتقاه.

باب القراءة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٩٨، ٩٩]. ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل:١٠٠]. ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ [الحج:٤]. واذكر عهد الله عليك وميثاقه في وحيه وتنزيله، وانظر كيف تقرأ كلامه وكتابه فرتل وتدبر، وقف عند وعده ووعيده وأمثاله ومواعظه وأمره ونهيه ومحكمه ومتشابهه، وإني لأخشى أن تكون إقامتك حدوده غفلة من تضييعك حدوده. قال الله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:٥٠].

باب الركوع

واركع ركوع خاشع لله بقلبه خاضعًا بجوارحه، واستوفِ ركوعك وانحط عن همتك في القيام بأمره، فإنك لا تقدر على أداء فرضه إلا بعونه ولا تبلغ دار رضوانه إلا برحمته، ولا

تستطيع الامتناع من معصيته إلا بعصمته، ولا تنجو من عذابه إلا بعفوه، قال رسول الله ﷺ: «لن يدخل الجنة أحد بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»(١).

باب السجود

واسجد لله سجود عبد متواضع علم أنه خُلق من تراب يطؤه جميع الخلق، وأنه رُكِّب من نطفة يستقذرها كل أحد، فإذا فكرَّ في أصله وتأمل تركيب جوهره من ماء وطين ازداد لله تواضعًا ويقول في نفسه: ويحك لم رفعت رأسك من سجودك لِمَ لَمْ تمت بين يديه، وقد جعل الله السجود سبب القرب إليه؟ فقال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩] فمن اقترب منه بَعُدَ من كل شيء سواه، واحفظ صفة سجودك في هذه الآية: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]. واستعن بالله عن غيره، فإنه روي عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تبارك وتعالى:

(١) أخرجه البخاري (٥٣٤٩)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حب العمل بطاعتي إلا توليت تقويمه وسياسته»(١).

باب التشهد

والتشهد ثناء، وشكر له، وتعرض لمزيد فضله وداوم كرامته، فاخرج عن دعواك، وكن له عبدًا بفعلك كما أنت عبدٌ له بقولك، فإنه خلقك عبدًا وأمرك أن تكون له عبدًا كما خلقك ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]. فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته، واستعمل العبادة في النزول تحت أمره، وصلِّ على حبيبه عقب الثناء عليه، فإنه وصَلَ محبته بمحبته وطاعته بطاعته ومتابعته بمتابعته، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]. وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا

---

(١) لم أجده.

يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠]. وأمر رسوله بالاستغفار لك، فقال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]. وأمرك بالصلاة عليه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال رسول الله ﷺ: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا» (١) وعامله بالفضل. فقال تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤]. ثم أمره بمعاملته بالعدل فقال لغيره: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجمعة:١٠]. وقال له: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴾ [الشرح:٧، ٨].

باب السلام

السلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في معاملته ومعاشرة خلقه، فإذا أردت السلامة فليسلم منك صديقك، وارحم من لا يرحم نفسه، فإن الخلق بين فتن ومحن،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إما مبتلى بالنعمة ليظهر شكره وإما مبتلى بالشدة ليظهر صبره، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ﴾ [الفجر:١٥- ١٧]. فالكرامة في طاعته والهوان في معصيته ومن ركب الهوى أهانه الله.

باب الدعاء

واحفظ آداب الدعاء، وانظر من تدعُ، وكيف تدعُ، ولماذا تدعو ولماذا تسأل، والدعاء استجابة الكل منك للحق وإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تشترط الإجابة. قال مالك بن دينار: أنتم تستبطئون المطر وأنا استبطئ الحجر[1]، ولو لم يأمر الله سبحانه بالدعاء لوجب علينا أن ندعوه، ولو لم يشترط لنا الإجابة لكنا إذا أخلصنا له الدعاء تفضل بالإجابة. فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرط الدعاء. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ

(١) قول مالك بن دينار رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٨٠) ورواه ابن الجوزي في صفة الصفوة (١/ ٣٧١) بلفظ: الحجارة. وزاد في آخره: إن لم تمطر حجارة فنحن بخير.

بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان:٧٧]. وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠]. وسئل أبو يزيد البسطامي عن اسم الله الأعظم، فقال: فرِّغ قلبك من غيره وادعُه بأي أسمائه شئت، وقال يحيى بن معاذ: اطلب صاحب الاسم. وقال رسول الله ﷺ: «لا يستجيب الله الدعاء من قلب لاهٍ»(١) فإذا أخلصت فأبشر بإحدى ثلاث: إما أن يعجل لك ما سألت، وأما أن يدخر لك ما هو أعظم منه، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو صبه عليك لهلكت وادع دعاء مستجْدٍ لا دعاء مشير، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»(٢). وقال أبو الحسين الوراق: دعوت الله مرة فاستجاب دعائي فنسيت الحاجة فاحفظ حق الله عز وجل عليك في الدعاء ولا تشتغل بحظك فإنه أعلم بمصلحتك.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٧٢) عن عمر رضي الله عنه.

باب الصوم

فإذا صمت فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، فإن الصوم فناء مراد النفس، وفيه صفاء القلب وضمارة الجوارح، والتنبيه على الإحسان إلى الفقراء، والالتجاء إلى الله والشكر على ما تفضل به من النعم، وتخفيف الحساب، ومنة الله في توفيقك للصوم أعظم من أن تقوم بشكرها، ومن صومك أن لا تطلب منه عوضًا.

باب الزكاة

وعن كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله، فزكاة القلب: التفكر في عظمته وحكمته وقدرته وحجته ونعمته ورحمته، وزكاة العين: النظر بالعبرة والغض عن الشهوة، وزكاة الأذن: الاستماع إلى ما فيه نجاتك، وزكاة اللسان: النطق بما يقربك إليه، وزكاة اليد: القبض عن الشر والبسط إلى الخير، وزكاة الرجل: السعي إلى ما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك.

باب الحج

والمريد إذا حج يعقد النية خوف الرد، واستعد استعداد من لا يرجو الإياب، وأحسن الصحبة، وتجرد عند الإحرام عن نفسه، واغتسل من ذنبه، ولبس ثوب الصدق والوفاء، ولبَّى موافقة للحق في إجابة دعوته، وأحرم في الحرم من كل شيء يبعده عن الله تعالى، وطاف بقلبه حول كرسي كرامته، وصفَّى ظاهره وباطنه عند الوقوف على الصفا، وهرول هربًا من هواه ولم يتمن على الله تمنى ما لا يحل له، واعترف بالخطأ بعرفة، وتقرب إلى الله بمزدلفة، ورمى الشهوات عند رمي الجمرات، وذبح هواه وحلق الذنوب، وزار البيت معظمًا صاحبه، واستلم الحجر رضاء بقضائه، وودع ما دون الله في طواف الوداع.

باب السلامة

واطلب السلامة فليت من طلبها وجدها فكيف لمن تعرض للبلاء، والسلامة قد عزّت في هذا الزمان وهي في الخمول، فإن لم تكن في الخمول، فالعزلة وليست كالخمول، فإن لم تكن عزلة

فالصمت وليس كالعزلة، فإن لم تكن في صمت فالكلام بما ينفع ولا يضر وليس كالصمت، وإن أردت السلامة فلا تنازع الأضداد ولا تنافس الأشكال، كل من قال أنا فقل أنت، وكل من قال لي فقل لك، والسلامة في زوال العُرف، وزوال العُرف في فقد الإرادة، وفقد الإرادة في ترك دعوى العلم فيما استأثر الله به من تدبير أمرك. قال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزُّمَر:٣٦]. وقال: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [السجدة:٥].

باب العزلة

صاحب العزلة يحتاج إلى عشرة أشياء: علم الحق والباطل، والزهد واختيار الشدة، واغتنام الخلوة، والسلامة، والنظر في العواقب، وأن يرى غيره أفضل منه، ويعزل عن الناس شره، ولا يفتر عن العمل، فإن الفراغ بلاء ولا يعجب بما هو فيه ويخلو بيته من الفضول، والفضول ما فضل عن يومك لأهل الإرادة وما فضل عن وقتك لأهل المعرفة، ويقطع ما يقطعه عن الله تعالى، قال رسول الله ﷺ لحذيفة بن اليمان: «كن حلس

بيتك»[١] وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: أملك لسانك وليسعك بيتك وأنزل نفسك منزلة السبع الضاري والنار المحرقة، وقد كان الناس ورقًا بلا شوك فصاروا شوكًا بلا ورق، وكانوا أدواء يستشفى بهم فصاروا داء لا دواء له. قيل لداود الطائي: مالك لا تخالط الناس؟ فقال: كيف أخالط من يتبع عيوبي كبير لا يعرف الخلق وصغير لا يوقر، من استأنس بالله استوحش من غيره، وقال الفضيل: إن استطعت أن تكون في موضع لا تُعرف ولا تَعِرف فافعل، وقال سليمان: همي من الدنيا أن ألبس عباءة وأكون بقرية ليس فيها أحد يعرفني ولا غذاء لي ولا عشاء، وقال رسول الله ﷺ: «يأتي زمان المتمسك يومئذٍ بدينه كالقابض على الجمر وله أجر خمسين منكم»[٢]. وفي

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وروى الترمذي (٢٤٠٦) رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك». قال الترمذي: حديث حسن.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠٤١)، وابن حبان (٣٨٥) عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، ولفظه: «إذا رأيت شُحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، =

العزلة: صيانة الجوارح، وفراغ القلب، وسقوط حقوق الخلق، وإغلاق أبواب الدنيا، وكسر سلاح الشيطان، وعمارة الظاهر والباطن.

باب العبادة

أقبل على أداء الفرائض، فإن سلم لك فرضك فأنت أنت، واطلب بالنوافل حفظ الفرائض وكلما ازددتَ عبادة فازدد شكرًا وخوفًا. قال يحيى بن معاذ: عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة، ومن كان عليه دين فأهدى إلى صاحب الدين مثل حقه كان مطالبًا بالحق إذا حلّ الأجل. وقال أبو بكر الوراق: ابذل في هذا الزمان أربعة على أربعة: الفضائل على الفرائض، والظاهر على الباطن، والخَلق على النفس، والكلام على الفعل.

فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم». وفي رواية: قيل يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل خمسين منكم».

باب التفكر

تفكر في قوله عز وجل ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان:١]. واذكر كيف أحوالك واعتبر بما مضى من الدنيا على ما تراه، هل أبقت على أحد، وما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء، وقد قال رسول الله ﷺ: «لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة»[١]. وقيل لنوح عليه السلام: «كيف وجدت الدنيا يا أطول الأنبياء عمرًا؟ قال: كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر»[٢]. والفكرة أبو كل خير وهي مرآة تريك الحسنات والسيئات.

تمَّ بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٤)، وابن ماجه (٤٠٣٥)، وابن حبان (٦٩٠) عن معاوية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٢٩) عن أنس رضي الله عنه.

الفهرس